- **الوقفة الثانية** في بيان معنى التوحيد، وبفهمه يتبين أنه أصل التربية:

تحدث الدكتور الأنصاري عن الإخلاص، وادعى أنّ الله تعالى استعمل هذه العبارة بدلاً من كلمة (التوحيد) في القرآن، ثمّ قال: «فرق كبير بين العبارتين، لأنّ هذه العبارة ديال الإخلاص ومشتقاتها اللغوية [...] تعطي المقصود الذي أراده القرآن من التوحيد، وهو أن يكون خادماً للتربية، بل أن يكون هو عين التربية [...]، أمّا كلمة (التوحيد) ما تعطيش التربية، لأنّ التوحيد من الناحية اللغوية –هذه العربية هكذا!– إنما يقع على معنى المشتات وفي حاجة مشتتة، أنت تجيء وتجمعها، فيقال لفعلك: توحيداً. وحّد الشيء، أو وحده، يوحده، أي أنه خلط على شي حاجة مفرقة وجمع! هذا معنى العربية للتوحيد! سبحانه وتعالى! ربي ماشي مفرق سبحانه، هو إله، وصف نفسه قال: «واحد» ما يحتاج أنت توحده!». انتهى كلامه السيء –غفر الله له–.

أقول، وبالله التوفيق:

بنى الدكتور الأنصاري –غفر الله له– ادعاءه أن كلمة (التوحيد) لا تعطي التربية، على مقدمتين:

– **الأولى**: أن الله استعمل كلمة (الإخلاص) ومشتقاتها في القرآن بدلاً من كلمة (التوحيد).

– **الثانية**: أن التوحيد «إنما يقع على معنى المشتات»، وأن الله ليس مفرقاً، «ما يحتاج أنت توحده».

وقد تقدم نقض المقدمة الأولى، فإن مادة (وحد) موجودة في غير ما آية، وأمّا فعل (وحّد) المتعدي ومصدره فإنهما موجودان في القرآن معنى، كما يشهد لذلك كلام ابن عباس الذي نقله الإمام البغوي في «تفسيره»، وكلاهما موجود لفظاً في سنة النبي ﷺ كما تقدم.

ويجدر بنا التنبيه على أن السنة وحي من الله تعالى، فهي مثل القرآن من حيث الاحتجاج بها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**»[1].

قال الشيخ الألباني –رحمه الله– في محاضرته «منزلة السنة في الإسلام»[2]:

«الواجب على المسلمين جميعاً أن لا يفرقوا بين القرآن والسنة من حيث وجوب الأخذ بهما كليهما وإقامة التشريع عليهما معاً. فإن هذا هو الضمان لهم أن لا يميلوا يمينا ويسارا وأن لا يرجعوا القهقرى ضلالاً، كما أفصح عن هذا رسول الله ﷺ...»، ثمّ ذكر حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.

وإليكم نقض المقدمة الثانية :

أصل التوحيد في اللغة من مادة (وحد)، قال ابن فارس (٣٩٥ هـ) –رحمه الله–:

«(وَحَدَ) الواو والحاء والدّال: أَصلٌ واحِد يَدلّ على الانفراد»[3].

وأمّا (وحّد) المتعدي، فقال الفيروزآبادي (٨١٧ هـ): «ووحده توحيداً: جعله واحداً»[4].

وأما في الشرع، فتوحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام، قال العلّامة السفاريني –رحمه الله–:

«اعلم أن التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الصفات.

---

[1] أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢)، الدارقطني في «السنن» (٥/٤٤٠)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (١٠/١٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١/٥٦٦ و٦١٠).

[2] (ص: ١٧).

[3] «معجم مقاييس اللغة» (٦/ ٩٠).

[4] القاموس المحيط (ص ٣٢٤).

فتوحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى.

وتوحيد الإلهية إفراده تعالى بالعبادة، والتأله له، والخضوع والذل، والحب والافتقار، والتوجه إليه تعالى.

وتوحيد الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ نفياً وإثباتاً، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع ما أثبته من الصفات من غير إلحاد في الأسماء ولا في الآيات»[٥].

فتبين بهذا أن المقصود من توحيد الله متعلق بعلم العبد وباعتقاده أن الله واحد في ربوبيته، وأسمائه وصفاته، وهو ما يسمى بالتوحيد العلمي الخبري؛ ومتعلق بصرف عبادة العبد لله تعالى، وهو ما يسمى بالتوحيد الإرادي الطلبي. **وليس في هذا أدنى علاقة باعتقاد أن الله مفرق حتى يوحده العبد!**

قال قوام السنة الأصبهاني: «وتقول العرب: واحد وأحد ووحد ووحيد أي: منفرد، فالله تعالى واحد، أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال. فقولهم: وحّدت الله: من باب عظّمت الله، وكبّرته، أي علمته عظيماً وكبيراً، فكذلك وحّدته: أي علمته واحداً، منزّهاً عن المثل في الذات والصفات»[٦].

وفي هذا النص أبلغ رد على الدكتور الأنصاري وابنه الروحي إيريك يونس -غفر الله لهما-، فهل من قائل أن التعظيم أو التكبير لا يقعان إلّا على معنى ما ليس بعظيم أو كبير، وأنه يلزم

---

[٥] «لوامع الأنوار البهية» (١/١٢٨).

[٦] «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٣٢٢).

من استعمال هاتين الكلمتين القول بأن الله ليس بكبير أو عظيم حتى يكبره أو يعظمه مكبر أو معظم؟! وكذلك القول في التسبيح!

ثم نقول لإيريك يونس:

أنت الآن بين أمرين –أحلاهما مرّ–:

الأول: أنك كنت تجهل –حين أقررت الدكتور الأنصاري– وجود كلمة التوحيد في النصوص وكلام أئمة الدين، مع الجهل بمعناها! فإن كان الأمر كذلك فهو مصيبة لمن درس في مدينة النبي ﷺ ثمان سنوات ولمن يدعي الاستفادة من علماء السنة، خاصة الشيخ عبد الرزاق البدر –حفظه الله– إذ هو من أكثر المشايخ اعتناءً بالتوحيد، وهو صاحب «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»! فإن كان الشيخ قد اشتد نكيره فيمن أنكر تقسيم التوحيد فما قوله في مخذولين ينكرون وجود هذه الكلمة العظيمة أصلاً؟!

الثاني: أنك كنت تعلم وجود ومعنى التوحيد في النصوص وكلام الأئمة، فالمصيبة عندئذ أشدّ، كما قيل:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمُ

وإن كان الثاني، فأسألك:

أهذا المعنى الذي اطّلعت عليه –أنت وشيخك– علمه رسول الله ﷺ وأصحابه أم جهلوه، وقد عرفت أنهم قد استعملوا هذا اللفظ؟

فإن قلت: جهلوه فقد جئت شيئاً إدّا، ولئن قلت إنهم علموه فقد رميتهم بالكفر[٧] والعياذ بالله!

[٧] إذ إن اعتقاد أن الله مفرق من أشنع صور الكفر بلا شك.

ثم أقول: ألم تنتبه على أن الدكتور الأنصاري –غفر الله له– أقرّ بأن العلماء قد استعملوا هذه الكلمة حين قال إن كلمة (التوحيد) «استنباط طلعه العلماء، وجاء البخاري –رحمه الله– وكتب كتاب التوحيد في «الصحيح»»؟ ومع هذا يدعي أنها تتضمن هذا المعنى الخطير المنكر؟ أغاب هذا المعنى عن علماء الأمة جميعاً –ومنهم أئمة اللغة– واكتشفه هو؟ أم غاب عن أمثال ابن عباس وخالد بن الوليد –رضي الله عنهم–، ويحيى بن كثير، والأوزاعي، والثوري، ومالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، والطبري، والطحاوي، والأزهري، والخطيب البغدادي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، وابن عبد الوهاب، وعلماء السنة قاطبة – رحمهم الله–، وانتبهت إليه أنت وشيخك؟

بئس ما رميتم به من قد جعلهم الله أئمة في الدين!

ولكما –والحال هذه– نصيب مما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في الذين يدعون أن الخلف أعلم من السلف، قال في «الفتوى الحموية»: «ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن «طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم». فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات»[٨].

ولما كان كلام الدكتور ساقطاً من أصله، كان من المتوقع جدّاً أن يقع في التناقض، ولم يخطئه ذلك إذ قال إن «النصوص تشهد للمعنى ولا تشهد للفظ»!

---

[٨] ينظر «مجموع الفتاوى» (٥/٩).

فبالله عليكم، لو كان التوحيد «لا يقع إلّا على معنى المشتات»، فهل يُعقل أن تكون النصوص تشهد لهذا المعنى في حق الله؟!

وأعجب من هذا أن الدكتور فريداً كان نفسه ممن يستعمل هذه اللفظة في بعض مؤلفاته، كذلك مريده إيريك يونس، فهو الذي نشر مذكرة كاملة في التوحيد، والذي استعمل مؤخّراً، بعد أن نشر هذه الفيديو، لفظة التوحيد ! ومع هذا أتيا بهذا القول المنكر!

ويزول العجب إذا عرفت أن هذا دأب أهل الباطل، قال ابن تيمية –رحمه الله– في «مجموع الفتاوى» (٤/٥٠): «إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالا من قول إلى قول وجزماً بالقول في موضع، وجزماً بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين. فإن الإيمان كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي ﷺ: «هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟» قال: لا. قال: «وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد». ولهذا قال بعض السلف –عمر بن عبد العزيز أو غيره–: «من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل».